آثار الحسد على التجارة والاقتصاد

أ.د عبد الواحد عثمان مصطفى صالح (*)

أولاً الحسد في القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] . قال الطبري: "وقد حرم الله عليهم غنائم خيبر ، وقالوا إنما تمنعوننا منها لأنكم تحسدوننا حتى لا نأخذ من غنائم خيبر "[2].قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

قال المفسرون :" كان الاختلاف بسبب البغي والحسد ، وحرصا على الدنيا وما فيها فكان ذلك سببا للفرقة . والكفر مهلكة في الدين بخسارة الآخرة ومهلكة في الدنيا بسوء الحال والمعاش ، وإثارة الفتنة والعداوة والبغضاء ، بعد المحبة والصفاء والوداد .وقال الإمام الرازي: "الحسد يفسد الطباع ، ولا شك أنهم حسدوا محمداً لأنه سبقهم إلى الخير الذي جاء به " [4]. فهو بيان لما يضمره اليهود للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام لأن وراءها السعادة في الدارين ، ولكنهم شق عليهم أن يتبعوهم ، فتمنوا أن يحرموا هذه النعمة ويرجعوا كفارا كما كانوا . وذلك شأن الحاسد يتمنى أن يسلب محسوده النعمة ولو لم تكن ضارة به ، فكيف إذا كان يعلم أن تلك النعمة إذا تمت وثبتت يكون من أثرها سيادة المحسود عليه وإدخاله تحت سلطانه.

حسد اليهود بسبب سلب الملك منهم، ويتمنون عودته إليهم ، ومنع الحسد باقي الزعماء أن يؤمنوا وتبعهم العامة تقليدا لهم ، وقلما يمنع الناس من اتباع الحق بعد ظهوره لهم حسداً وتكبراً ، قال عليه السلام :"دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد.

(*) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية– كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية

(1) سورة الفتح الآية 15

(2) جامع البيان للطبرى 218/22 .

(3) سورة البقرة الآية 109

(4) الإمام : محمد بن عمر (فخر الدين الرازى) ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (645/3) . التفسير المنير للزحيلى 26/4 و180/3 . تفسير القرطبي 261/16 . محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 م ، 346/1 .

والبغضاء. والبغضة هي الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين ، قالوا : ما داء الأمم؟ قال : الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج"[1]. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا"[2].

مما سبق يلاحظ أن الآيات القرآنية والسنن النبوية الشريفة التى ذكرت أوضحت أن الحسد يؤدى إلى سوء العلاقة بين الناس مما يقود إلى عدم تعاونهم ومن ثم يؤدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية . فى حين التعاون بين الناس من الأهمية بمكان باعتباره الأساس الذي يقوم علية تبادل المنافع ومن ثم التنمية فى المجتمع.قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [3]. والبر يتناول الواجب والمندوب إليه ، والتقوى رعاية الواجب ، والتقوى رضا الله تعالى، و البر رضا الناس، ومن جمع بينهما فقد تمت سعادته وعمت نعمته. وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة .وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وهو الحكم اللاحق عن الجرائم ، والْعُدْوانِ وهو ظلم الناس.ويدخل الحسد في هذا الإثم الذي نهى عنه باعتباره ظلم[4].

ثانياً : مفهوم الحسد :

1- **تعريف الحسد:** قال بدر الدين العينى :"الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه"[5]. وقال ابن حجر رحمه الله : الحسد تمني زوال النعمة عن مستحق لها[6].وقال النووي رحمه الله : الحسد هو تمني زوال النعمة عن صاحبها ، سواء أكانت نعمة دين أم دنيا[1].

([1]) الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب صفة القيامة والرقائق ...دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،664/4 ، 2510 . مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه ، 164/1 ، 1412 .

(2) الجامع الصحيح لمسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس... ، دار الجيل بيروت ، بيروت 10/8 ، رقم 6701 . سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ما جاء في الحسد ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 329/4 ، رقم 1935 . سنن ابن ماجة ،كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية ،مكتبة أبي المعاطي ، 19/5 ، رقم 3849 .

(3) سورة المائدة الآية 2

(4) الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري ، للبخاري ، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، دار الشعب، القاهرة ، 23/8 ، رقم 6064 . الجامع الصحيح لمسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس... ، دار الجيل بيروت ، بيروت 10/8 ، رقم 6701 . سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ما جاء في الحسد ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 329/4 ، رقم 1935 . سنن ابن ماجة ،كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية ،مكتبة أبي المعاطي ، 19/5 ، رقم 3849 .

([5]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني الحنفي ،كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ، 22/3 .

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، كتاب الأدب ، قوله باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ،482/10

2–تفسير الحسد:

من المعلوم أن النفس بطبيعتها قد "جبلت على حب الرفعة على الآخرين ، فإذا علا عليها أحد كرهت ذلك ، وربما سعت لإيذاء صاحب النعمة أو سعت لإزالتها عنه حتى لا يفضل عليها"[2]، وليس حب النفس لعلوها على غيرها مذموماً، فإن حب العلو موجود في الإنسان لا يلام عليه أحد لكن على المسلم ضبطه بضوابط الشرع .

مما سبق فإن حقيقة الحسد هو بغض نعمة الله على العبد وإن لم يتمنَّ زوالها .

وقال. الإمام ابن الجوزي رحمه الله : "واعلم أن من الأمر الموضوع في النفوس الحسد على النعم ، أو الغبطة وحب الرفعة ، فإذا رآك من يعتقدك مثلاً له وقد ارتقيت عليه فلا بد أن يتأثر وربما حسد"[3].

ويقول ابن الجوزى :"أن الإنسان لا يحب أن يرتفع عليه أحد ، فإذا رأى صديقه قد علا عليه تأثر هو ولم يحب أن يرتفع عليه ، وود لو لم ينل صديقه ما ينال ، أو أن ينال هو ما نال ذاك لئلا يرتفع عليه."[4].

3– أنواع الحسد:

ينقسم الحسد إلى نوعين[5]:

(أ)– الحسد المذموم : وهو تمني زوال النعمة من الغير ، وحكمه التحريم وهو المقصود هنا.

(ب)– الحسد المحمود : ويسمى (الغبطة) وهو تمني الإنسان أن يكون له من النعمة نظير ما للآخرين من غير أن تزول عنهم .

4– أسباب الحسد:

للحسد أسباب عدة منها[6] :

---

(1) شرح رياض الصالحين للعثيمين ،كتاب الأمور المنهي عنها ، باب تحريم الحسد وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها: سواء أكانت نعمة دين أم دنيا ، 1831/1 .

(2) صيد الخاطر لابن الجوزي ، فصل تجارب مع الناس ، 53/1 .

(3) المصدر السابق ، فصل الثرثرة بالنعم ، 41/1 .

(4) المصدر السابق ، فصل حقيقة الحسد ، 142/1 .

(5) داء الحسد وأثره على طلبة العلم ، المبحث الرابع : أنواع الحسد ، هاني بن الشيخ بن جمعة بن سهل ، السودان – أم درمان ، 8/1 . موسوعة المفاهيم الإسلامية ، جمعُ وإعدادُ عليُّ بنُ نايفَ الشَّحودِ ، 358/1 . موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث ، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود ، ص 1 .

(6) موسوعة الدين النصيحة ، على نايف الشحود ، 31/5 . وصفوة المسائل في التوحيد والفقه والفضائل أبو رحمة ، محمد نصر الدين عويضة ، 194/1 .

(أ)-عدم الرضى والقناعة بقسمة الله تعالى بين عباده . وقد قيل : الحسود عدو النعمة، غضبان على القدر . قال ابن مسعود رضي الله عنه : "ألا لا تعادوا نعم الله ، قيل : ومن يعادي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله".

(ب) -بغض الحاسد للمحسود والحقد عليه يولد الحسد في آخر الأمر.

(ج)-فإذا كان الحاسد متكبراً ومعجباً بنفسه رأى أنه أحق بالنعم من غيره.

(د)- خبث النفس ، فبعض النفوس نعوذ بالله منها لا تتمنى لأحد خيراً أبداً ، بل ربما تتمنى الشر لمن أحسن إليها لخبث نفسه فيها.

(هـ)- تفوق المحسود بفضل يعجز عنه الحاسد ، كالعلم أو المال أو الأدب.

(و)- حب الرياسة ، فإذا كانت النفس مريضة بحب التصدر والرياسة فإنها تحسد كل من تشعر أنه يزاحمها ويضايقها في الوصول إلى المناصب ، ومن ثم تسعى لإسقاط الطرف الآخر لتتفرد هي بالرياسة ، وهذا هو الذي دعا عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لعداوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يتأهب ليكون رئيساً على المدينة ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تركه الناس وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفوا حوله فحسده عبد الله بن أبي على ذلك ثم بذل جهده في محاربة الإسلام.

(ز)- التنافس في عمل واحد ، فهذا مما يسبب الحسد في كثير من الأحوال ، حيث تجد التاجر يحسد التاجر ، والمزارع يحسد المزارع ، والعالم يحسد العالم ، والواعظ يحسد الواعظ وقلَّ أن تجد عالماً يحسد طبيباً ، أو مهندساً يحسد مزارعاً إلا لأغراض أخرى .

(ح)- الخوف من فوت المقاصد ، فإذا كان الحاسد مشتهراً بأمر ، حتى صار الناس يتزاحمون عليه بسببه ، وصار اسمه مذكوراً على جميع الألسن ، واشتهر أمره ، ثم برز من يساويه أو يتفوق عليه في ذلك الأمر تراه يحسده ويتمنى أن ينتقل إلى مكان آخر ، أو أن ينجفل الناس عنه ، خوفاً من فوات مقصده من الشهرة والمال والثناء وغير ذلك .

(ك)- تسبب من له ولاية على أشخاص في تحاسدهم ، بتفضيل بعضهم على بعض ، كأن يثني على أحدهم ويمدحه أمام قرين منافس له.

(ل) -المبالغة في إظهار نعم الله تعالى ، كالمبالغة في إظهار نعمة المال أو الصحة أو الذكاء أو الجمال أو قوة الذاكرة ...الخ. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : " ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه أن يظهر منها ما يبين أثرها ولا يكشف جملتها ، وهذا من أعظم لذات الدنيا التي يأمر

الحزم بتركها فإن العين حق ، وإني تفقدت النعم فرأيت إظهارها حلواً عند النفس ، إلا أنني رأيت شر الحسود كاللازم ، فإنه في حال البلاء يتشفى ، وفي حال النعم يصيب بالعين "[1].

5- أضرار الحسد وآثاره السيئة :

للحسد أضرار كثيرة وعواقب وخيمة على الحاسد أذكر منها ما يلي :

(أ) - الحسرة التي تأكل قلب الحاسد حتى تصبح ألماً في جسده : فإن الحاسد يحقن في جسده الهم والغم والحقد والبغض وتمني زوال نعم الآخرين عنهم ، وكلما زادت هذه النعم زاد غيظه.

(ب)- انخفاض منزلته في قلوب الناس ، ونفورهم منه حتى يصبح مبغوضاً عندهم ، وقد قيل : الحسود لا يسود ، فيصبح ذمه شائعاً على الألسنة . قال السمرقندي : ليس شيء من الشر أضر من الحسد ، لأنّه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه ، منها تغلق عليه أبواب التوفيق .

(ج)- زرع العداوة بين الأصحاب والأقارب وتفكيك المجتمع المسلم ، قال الجاحظ عن آثار الحسد : (فمنه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة ، ومنتج كل وحشة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم بين الأقرباء ، ومحدث التفرق بين القرناء ، وملقح الشر بين الخلطاء، يكمن في الصدور كمون النار في الحجر)[2].

(د)- قد يؤدي إلى بعض المآلات الخطيرة ومنها :

1- معصية أمر الله تعالى : كما في قصة إبليس مع آدم عليه السلام .

2- وقال الجاحظ في بعض قصص الحسد :

(أ)- أحد أبناء آدم ، طوعت له نفسه قتل أخيه بالحسد فقتله فأصبح من الخاسرين ، لقد حمله الحسد على غاية القسوة ، وبلغ به أقصى حدود العقوق إذ ألقى عليه الحجر فأصبح عليه نادماً صارخاً .

(ب)- وكان عبد الله بن أبيّ قبل نفاقه نسيج وحده بجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمته وانقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة وإذعانهم له بالرياسة ، وما استوجب ذلك إلا بعد ما استجمع له لبه وتبين لهم عقله ورأوه لذلك أهلاً لما أطاق له حملاً ، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ورأى عز رسول الله صلى الله عليه وسلم شمخ بأنفه فحسده ، وأظهر نفاقه ، وما صار منافقاً حتى صار حسوداً ... ولو سلم المخذول من الحسد لكان من الإسلام بمكان ، ومن السؤدد في ارتفاع ، فوضعه الله بحسده وإظهار نفاقه .

([1]) المصدر السابق ، 32/5 . و 194/1 .

(2) هاني بن الشيخ بن جمعة بن سهل ، داء الحسد وأثره على طلبة العلم ، مصدر سبق ذكره ، 11/1 .

(ج)- وقد كان إخوة يوسف علماء حلماء ولدهم الأنبياء فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد ليوسف صلى الله عليه وسلم ،حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة ، والعهود المقلدة ، والأيمان المغلظة ، أنهم له حافظون ، وهو شقيقهم وبضعة منهم ، فخانوا العهود ، ووثبوا عليه بالظلم فألقوه في غيابة الجب[1].

6- الحسد بين العلماء وطلبة العلم:

التحاسد بين العلماء وطلبة العلم، فهذه قاصمة للظهر ، وإذا ظهر التحاسد بين طلبة العلم تفرقت الأمة ودخلت الأهواء والضلالات على أفرادها . إكثار الكلام حول تحاسد العلماء مذموم حيث إنّه يصوّر أن العلاقة بينهم مفقودة وأن صدورهم مليئة بالضغائن والأحقاد.

7/ سبب التحاسد بين العلماء ومنشؤه:

الحسد بين العلماء نوع من أنواع التحاسد بين الأقران ، وكما تقدم فإن سبب تحاسدهم هو اجتماعهم على شيء واحد هو طلب العلم ، فكما يحسد التاجر التاجر، والطبيب الطبيب ، والمهندس المهندس ، فكذلك قد يحسد العالمُ العالمَ . قال :الإمام ابن الجوزي رحمه الله :" تأملت التحاسد بين العلماء ، فرأيت منشأه من حب الدنيا ، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، كما قال عز و جل يمدح الأنصار:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] . وأن علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء. وقال رحمه الله في حثه على العزلة وذكره لبعض مساوئ الخلطة : " وإن وقعت المخالطة للعلماء فأكثرهم على غير الجادة ، مقصودهم صورة العلم لا العمل به ، فلا تكاد ترى من تذاكره أمر الآخرة ، إنّما شغلهم الغيبة ، وقصد الغلبة ، واجتلاب الدنيا ، ثم فيهم من الحسد للنظراء ما لا يوصف "[4].

([1]) محمد رشيد رضا ، مجلة المنار ، رسالة الحاسد والمحسود للجاحظ ، منقولة عن نسخة بخط على بن هلال ، 593/1 . 2 جمادى الآخرة - 1316هـ نوفمبر - 1898م.

([2]) سورة الحشر الآية 9.

(3) سورة الحشر الآية 10.

(4) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ، باب في الحقد والحسد ، 46/3 - 53 .

علاج الحسد تارة بالرضى بالقضاء، وتارة بالزهد في الدنيا، وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النعم من هموم الدنيا وحساب الآخرة، فيتسلى بذلك ولا يعمل بمقتضى ما في النفس أصلاً، ولا ينطق، فإذا فعل ذلك لم يضره ما وضع في جبلته.

من أحب أن يسبق أقرانه، ويطلع على ما لم يدركوه، فإنه لا يأثم بذلك، فإنّه لم يؤثر زوال ما عندهم عنهم، بل أحب الارتفاع عنهم ليزيد حظه عند ربه، كما لو استبق عبدان إلى خدمة مولاهما، فأحب أحدهما أن يستبق .قال تعالى: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[1] .وفي "الصحيحين" من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في الحق آناء الليل وآناء النهار"[2].

الحسد له أسباب أحدها: العداوة، والتكبر، والعجب، وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها، وأشدها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد.

وأمّا الكبر، فهو أن يصيب بعض نظرائه مالاً أو ولاية، فيخاف أن يتكبر عليه ولا يطيق تكره، وأن يكون من أصاب ذلك دونه، فلا يحتمل ترفعه عليه أو مساواته. وكان حسد الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريباً من ذلك .قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [3].وقال تعالى في حق المؤمنين :﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [4]. وقال جل علاه :﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ [5]. فعجبوا وأنفوا من أن يفوز برتبة الرسالة بشر مثلهم فحسدوهم.

وأمّا حب الرياسة والجاه، فمثاله أن الرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به، من أنه أوحد العصر، وفريد الدهر في فنه، إذا سمع بنظير له في أقصى العالم، ساءه ذلك وأحب موته، أو زوال النعمة التي بها يشاركه في علم، أو شجاعة، أو عبادة، أو صناعة، أو ثروة، أو غير ذلك، وليس ذلك إلا لمحض الرياسة بدعوى الانفراد.

وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يؤمنون خوفاً من بطلان رئاستهم، فهذه أسباب الحسد.

---

(1) سورة المطففين الآية 26.

(2) المصدر السابق ، 3/46-53 .

(3) سورة الزخرف الآية 31.

(4) سورة الأنعام الآية 53.

(5) سورة يس الآية 15.

8/ سبب كثرة الحسد:

يكثر الحسد بين الناس بكثرة الأسباب التي ذكرت، فأصل العداوة والتزاحم على غرض واحد ، لهذا ويقع ذلك غالباً بين أصحاب المهنة الواحدة ، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض ، مما يؤدى إلى التنافر والتباغض . ولذلك ترى العالم يحسد العالم، والتاجر يحسد التاجر، وصاحب الثروة الحيوانية يحسد أخاه لأنه يملك قطيعاً أكبر.. وهكذا.

ثالثاً: أثر الحسد على اقتصاد الدول:

فيما يلي يمكن إيراد مثالين لحضارتين الأولى تدهورت واندثرت بسبب التحاسد والثانية قامت وازدهرت على التآلف والإخاء ونبذ الحسد والتحاسد. وفيما يلي سرد موجز للحضارتين.

1– قصة تدهور حضارة سبأ بسبب الحسد:

قال تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [1] وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾. وذلك من صنعاء عاصمتهم إلى الشام قرابة أربعة آلاف وسبعمائة قرية (مدينة)، وقوله: "وقدرنا فيها السير " أي يجعل المسافات بين كل مدينة ومدينة متقاربة بحيث يخرج المسافر بلا زاد من ماء أو طعام فلا يقيل إلا في مدينة ويخرج بعد القيلولة فلا ينام إلا في مدينة أخرى حتى يصل إلى الشام أو إلى المدينة التي يريدها. وقوله تعالى :"وسيروا فيها ليالي وأياما آمنين" أي سيروا بين تلك المدن الليالي والأيام ذوات العدد آمنين من كل ما يخاف[2]. ويعنى هذا قلة مخاطر نقل السلع وقلة تكلفتها أي تكاليف نقل السلعة والركاب منخفضة. "إلا أنهم بطروا النعمة وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ، وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء . قال تعالى: "وظلموا أنفسهم" إذ بإعراضهم وحسدهم وبطرهم النعمة كانوا قد ظلموا أنفسهم فعُرِّضوا لعذاب الحرمان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة ، وقوله تعالى: "ومزقناهم كل ممزق" أي فرقناهم في البلاد كل بحيث لا يرجى لهم عودُ فذهب الأوس والخزرج إلى يثرب ، وهم الأنصار ، وذهب غسان إلى الشام ، والازد إلى عُمان ، وخزاعة إلى تهامة"[3].

نخلص من هذه الآيات إلى التحذير من الإعراض عن دين الله، مما يؤدى إلى الحسد والكراهية والفرقة.

2– قيام حضارة المدينة المنورة في مدينة خالية من الحسد:

(1) سورة سبأ الآية 18.

(2) أبوبكر الجزائرى ، أيسر التفاسير ، 318/3.

(3) المصدر السابق ، 318/3.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (1). "النَّصْرُ مِنْ اللَّهِ إذ أيدك بالمؤمنين من الأنصار والمهاجرين ، الذين دافعوا عنك دفاع الأبطال ، وهو الذي ألف بين قلوبهم ، وجمعهم على كلمة الحق والشهادة ، وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها جمعهم على حبك وألف بين قلوبهم المتنافرة المتباغضة ، وقد كانوا في الجاهلية أصحاب حروب وفتن وعداوات وعصبيات وحب للانتقام وإثارة الحروب لأتفه الأسباب"(2).وقال تعالى:﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (3). "كان هذا بين الأوس والخزرج من الأنصار، ألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا. ولم يقع بينهم تحاسد كما هو شأن البشر في مثل هذا الشأن ، وكاد أن يقع التغاير بين المهاجرين والأنصار عند قسمة الغنائم في حنين فكفاهم الله شر ذلك بفضله وحكمة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ."(4) .

"كان عدد المهاجرين في غزوة بدر ثمانين رجلا أو زيادة كما ذكر الحافظ في فتح الباري، وكان الباقون من الأنصار وهم تتمة ثلاثمائة وبضعة عشر. والعمدة في إرادة الفريقين أن التأييد بالفعل والنصر حصل بكل منهما في جميع الوقائع." وكان المهاجرون في المرتبة الأولى في كل شيء لسبقهم إلى الإيمان ، ونصر الله رسوله في زمن القلة والشدة والخوف ، وقد أسند إليهم هذا النصر في سورة الحشر التي نزلت في غزوة بني النضير عند ذكر مراتب المؤمنين ، فقال في قسمة فيئهم:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (5). ثم قال في الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (6). وهو دليل على أن النصر ينال بالأسباب ، وأن ذلك يتوقف على التآلف والاتحاد ، وكل ذلك بفضل مقدر الأسباب ورحمته بالعباد ، ولذلك قال : لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعني أنه لولا نعمة الله عليهم بالإيمان ، وأخوته التي هي أقوى

(1) سورة آل عمران الآية 103.

(2) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، 60/10.

(3) سورة الأنفال الآية 63.

(4) تفسير المنار ، مرجع سابق ، 60/10 .

(5) سورة الحشر الآية 8.

(6) سورة الحشر الآية 9.

عاطفة ومودة من أخوة الأنساب والأوطان ، لما أمكنك يا محمد أن تؤلف بين قلوبهم بالمنافع الدنيوية ،ولو أنفقت كل ما في الأرض من الأموال والمنافع في سبيل هذا التأليف، أمّا الأنصار فلأن الأضغان الموروثة ، والدماء المسفوكة ، وحمية الجاهلية الراسخة ، لا تزول بالأعراض الدنيوية العارضة ، وإنّما تزول بالإيمان الصادق الذي هو مناط سعادة الدنيا والآخرة ، وأمّا المهاجرون فلأن التأليف بين غنيهم وفقيرهم ، وسادتهم ومواليهم ، وأشرافهم ودهمائهم ، على ما كان فيهم من كبرياء الجاهلية ، وأمّا مجموع المهاجرين والأنصار فقد كان اجتماعهما لولا فضل الله وعنايته مدعاة التحاسد والتنازع ، لما سبق لهما من عصبية الجاهلية ، وما كان لدى المهاجرين من مزية قرب الرسول والسبق إلى الإيمان به ، وما لدى الأنصار من المال والقوة وإنقاذ الرسول والمهاجرين جميعا من ظلم قومهم ، ومن المنة عليهم بإيوائهم ومشاركتهم في أموالهم ، وفي هذا وذاك من دواعي التغاير والتحاسد ما لا يمكن أن يزول بالأسباب الدنيوية.

لا يوجد سبب للتوحيد والتعاون بين البشر كالتآلف والتحاب ، ولا يوجد سبب للتحاب والتآلف كأخوة الإيمان . قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : "قرابة الرحم تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثل تقارب القلوب قال تعالى:﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]. ورواه الحاكم عنه بلفظ: إن الرحم لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء. ثم قرأ: لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم [2].

واتفق حكماء البشر على أن المحبة أعظم الروابط بين البشر، وأقوى الأسباب لسعادة الاجتماع الإنساني وارتقائه. واتفقوا أيضا على أن المحبة إذا فقدت لا يحل محلها شيء في منع الشر، والوقوف عند حدود الحق، إلا فضيلة العدل. ولما كانت وهمية غير اختيارية، وكان العدل من الأعمال الكسبية، جعل الإسلام المحبة فضيلة والعدل فريضة، وأوجبه لجميع الناس في الدولة الإسلامية.

ولخص الرازي ذلك بقوله: نهى الله سبحانه وتعالى عن المعاداة والمخاصمة لأنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة والمنازعة فنهاهم اللّه عنها: كما نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة.

"واعلم أن كل من كان وجهه إلى الدنيا كان معادياً لأكثر الخلق ، ومن كان وجهه إلى خدمة اللّه تعالى لم يكن معادياً لأحد ، كما أن التفرق المنهي عنه يحتمل ثلاثة أوجه : الأول: التفرق في العقائد، الثاني : قوله عليه الصلاة والسلام : ((لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله

---

(1) سورة الأنفال الآية 63.

(2) شعب الإيمان للبيهقي ، مقاربة أهل الدين ، معانقة إبراهيم ، 310/11 .

إخوانا))،ويعضده قوله تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1]،الثالث: ترك التخطئة في الفروع والتبري فيها"[2].

رابعاً وقائع اقتصادية عن الحسد:

" ما قاله آدم سميث منذ قرنين من الزمان عاد من جديد: أن الحسد التجاري والذي كان يلاحظ بين الأمم أي بين أصحاب الدكاكين في مختلف الأمم يسود من جديد مفاوضاتهم. أنهم أعداء بالضرورة لأنهم جيران. والفارق مع عصره هو أن الرياء أصبح يموه بصورة أصعب، ولكنه ما برح مستخدماً بالرغم من ذلك، وما زال المعنيون يتبادلون التهم بخرق قواعد حرية التجارة.

أن أعظم أمة في العالم الجديد جعلت من نفسها بطلة الليبرالية الدولية في المجال التجاري ، ولكن هناك اتهامات لم تدحض بعد وهو أن صناعيي بريطانيا وتجارها يشعرون بالقلق وهم يرون أن نجاحهم في مجال التصدير والتي تشجعهم عليها الولايات المتحدة الأمريكية تتعرض للإخفاق لأن منافسيهم الأمريكيين يذودون عن أنفسهم بالضغط على المشرع ليحصلوا على رفع تعريفة الرسوم الجمركية"[3].

"يرى ديفد هيوم وآدم سميث أن حسد التجارة وهو "أن شعب معين ينظر إلى ثروة شعب آخر بنوع من الحسد "، بينما كلاهما يعرف أن التجارة تكون نتيجة عن الترابط والصداقة بين شعبين .والحسد مجال خصب للحقد والصراع والكراهية والنزاع .أما إذا تحول هذا الحسد إلى منافسة شريفة بين الأمم سيتحول ذلك إلى وفرة وتطور وتحضر"[4]. مثل الحرب التجاري المعاصرة بين أمريكا والصين.

خامساً أمثلة لبعض الوقائع في السودان التي تدل على الحسد:

1- وقائع حرق أول عملة وطنية سودانية[5]:

لم يستند قرار حرق أول عملة وطنية على أسباب موضوعية متجردة وإنّما أملته ظروف وملابسات سياسية وحزبية ، فقد رأت الحكومة التي اتخذته والتي شكلت آنذاك من حزبي الأمة (الأنصار) والشعب الديمقراطي (الختمية) برئاسة السيد عبد الله خليل سكرتير عام حزب الأمة والذي

---

(1) سورة آل عمران الآية 103.

(2) تفسير المنار ، مصدر سابق ، 61/10 – 63 . مفاتيح الغيب، للفخر الرازي 312/8. أحكام القرآن لابن العربي 111/2 .

(3) فرانسوا سليه الأخلاق والحياة الاقتصادية ترجمة عادل العوا ،منشورات عويدات ،بيروت/باريس،1989م،ص78.

(4) https://www.researchgate.net/publication_"Jealousy_of_Trade_in_Hume_and_Smith

(5) محمد سعيد محمد الحسن ، مسيرة بنك السودان (الملامح ، التفرد ، المنهج) ، مطبعة نضر ، الخرطوم ، بدون تاريخ ، ص (124 – 127) .

كان يصفها (حكومة السيدين) أنّها إذا وافقت على طرح أول عملة وطنية وعليها توقيع إسماعيل الأزهري رئيس أول حكومة ورئيس الحزب الوطني الاتحادي الذي أعلن الاستقلال من داخل البرلمان فإنّ ذلك سيزيد شعبيته وجماهيريته خاصة وأن البلاد مقبلة على إجراء أول انتخابات عامة في ظل العهد الوطني ، وكان أول انتخابات عامة أجريت بإشراف لجنة دولية في عام 1953 وبوجود الحاكم العام والإدارة البريطانية في البلاد.

كما أن حزبي الحكومة الذين تحالفا في منتصف 1956م وأطاحا بحكومة الوطني الاتحادي برئاسة إسماعيل الأزهري بحيل حزبية ملتوية مخالفة لأصول الممارسة الديمقراطية كانا مصممين على عدم إعطاء حزب الأزهري أي فرصة للحصول على أغلبية برلمانية في الانتخابات أو العودة إلى الحكم مرة أخرى.

رأت أول حكومة وطنية أهمية استبدال العملة المصرية التي كانت متداولة في السودان حتى عام 1956 وإصدار عملة خاصة بالسودان وجرى التداول بشأنها مع قيادة الخدمة المدنية في وزارة المالية ورأوا ضرورة زيادة الضمان على العملة بتوقيع رئيس الوزراء وافق زعيم المعارضة محمد أحمد محجوب على ذلك ، وتمت كافة الإجراءات المتصلة بالإصدار ومن ضمنها توقيع رئيس الوزراء (كان لها ما يبررها لعدم وجود بنك مركزي).تحولت حكومة إسماعيل الأزهري إلى حكومة قومية استجابة لنداء السيدين على الميرغني وعبد الرحمن المهدي وحسب رأى المراقبون أن المقصود من قيام الحكومة القومية أن تكون بمثابة التمهيد لإقصاء الرئيس إسماعيل الأزهري وقيام الحكومة الائتلافية برئاسة السيد عبد الله خليل . وتم إسقاط حكومة الأزهري وجاءت حكومة ائتلافية برئاسة عبد الله خليل. وفي نفس الوقت وصلت العملة الوطنية الجديدة من بريطانيا وعليها توقيع الأزهري. ومنعت إنزالها للتداول. وبالرغم من أن وزير المالية السيد إبراهيم أحمد (حزب أمة) كتب مذكرة عن صعوبة طباعة عملة جديدة، كما أوضح النتائج الخطيرة لتأخير تداول العملة. ورغم الحجج القوية صدر قرار مجلس الوزراء بإبادة العملة حرقاً لأنّها تحمل توقيع إسماعيل الأزهري. وخرجت مظاهرات تندد بقرار حرق العملة وتهتف (حريق العملة حريق الشعب)، والغريب لا أثر لهذه العملة.

2- تأخير فتح بورصة القطن في عام 1957م "مما أدى إلى بيع قطن أصحاب المشاريع الخاصة وهم أجانب وكساد قطن المشاريع الحكومية .كما اتهم مكتب تسويق القطن بتقديم بيانات للمشترين حرضتهم على الإحجام عن شراء القطن حتى انخفضت الأسعار "[1].

3- حسب مضابط البرلمان منذ عام 1957 م، فإنّ الحكومات المتعاقبة نكثت عن وعدها بتوزيع العبء الضريبي بعدالة بين قطاعات الأُمّة، إلا أن رجال الأعمال وقفوا ضد أي زيادة في الضرائب

([1]) محمد هاشم عوض ، الاستغلال وفساد الحكم في السودان ،بدون تاريخ ،بدون سنة نشر ، ص 83.

عليهم. بينما أيدوا زيادة الضرائب على الفقراء ، وعلى الفقراء تقبل ذلك على أساس أنّها ثمن الحرية[1].

4 – السلفيات:[2] تعتبر من أهم الخدمات التي تقدمها الحكومة لفئات خاصة من الشعب، وتشمل السلفيات الزراعية وسلفيات المنازل وسلفيات متنوعة، وكانت تشترط الحكومة ضمانات كافية للسلفيات ، كما كان على المزارع أن يتكفل بطريقته الخاصة دفع جزء كبير من تكاليف المشروع . وكان هذا الشرط عقبة أمام صغار المزارعين مما جعل الفائدة تعود إلى كبار المزارعين.

5- بتتبع تاريخ السودان السياسي منذ قيام دولة الفونج (السلطنة الزرقاء) ، نجد أن الحكم يرتبط بالمصالح ويخدم هذه المصالح قبل غيرها ، في العهد السناري كان نظام الحكم حلف تجارى موجه لحماية مصالح التجار وطرق قوافلهم وبانهيار هذا الحلف انهار الحكم السناري وكذلك في العهد التركي وجد الحكام أن المنفعة التي تعود إليهم هو احتكار التجارة لصالح مصر ولصالحهم ، بعد أن فشلت المحاولات للاستفادة زراعياً وصناعياً من السودان[3].

6/ جدال منعم منصور مع المفتش الانجليزي (Peter Hugh) بيتر هوق: [4] في مذكراته يقول الأستاذ إبراهيم منعم منصور (وهو شخصية عامة شغل منصب وزير المالية في نظام جعفر نميري ودخل سجن كوبر غداة انتفاضة أبريل ١٩٨٥ التي أسقطت نميري ونظامه) يقول: " أقام والده الشيخ منعم منصور ناظر عموم دار حمر في غرب السودان(كردفان)، حفل شاي وداعا لمفتش المركز (بيتر هوق) (Peter Hugh) في منتصف عام1954 حين اتضحت معالم استقلال السودان من الحكم الثنائي. وفي أثناء الحفل، سأل الخواجة هوق: " تفتكر يا شيخ منعم تقدروا تحكموا أنفسكم إذا أصبح السودان مستقلا؟"، رد عليه شيخ منعم منصور: "كيف ما نقدر، الحبش حاكمين أنفسهم، ولما موسليني هاجمهم، قوة دفاع السودان هي التي حررت الحبشة.. عقب الخواجة: "تمام.. لكن انتو ما زي الحبش.. انتو ناس حاسدين!!" اعترض شيخ منعم منصور بعتاب يلوم فيه المفتش الإنجليزي:"دا رأيك فينا يا مستر هوق بعد السنين دي كلها؟!" جادله المفتش موضحاً: "دا موش رأيي، دي تصرفاتكم إنتو.. أديك مثل يا شيخ منعم، نحن الخواجات إذا وجد واحد منا شجرة فيها ثمر ينادي على إخوانه، وعندما يجتمعون، يكلفون أخفهم وزناً بأن يمتطي ظهورهم ويتسلق الشجرة ويقوم بجمع الثمار الناضجة ويملأ جيوبه، ويرمي بغير الناضجة إلى الأرض.. أمّا إذا وجد فيكم يا

([1]) المصدر السابق ، ص 101 .

([2]) المصدر السابق، ص 102 – 106.

([3]) المصدر السابق ، ص 119 – 121 .

([4]) مذكرات إبراهيم منعم منصور: أو كما يجب أن تكتب المذكرات .

حمر ويا سودانيين شجرة فيها ثمار، فإنّه لا ينادي على أحد، ويسير متخفياً، ويتسلق بمشقة.. وفجأة يفتقده إخوانه فيقتفون أثره، وعندما يتأكدون أنّه في أعلى الشجرة، يأتون بعدة فؤوس وبسرعة فائقة يقطعون الشجرة، فيقع الأخ، ويتناثر الثمر متقطعا أشلاء على الأرض بجانب أشلاء أخيهم".. تعجَّب شيخ منعم منصور من المثل والطريقة الدرامية التي حكاها المفتش الذي أردف: "يبدو أنك غير مصدق، لكن بعد رحيلنا سيري أولادكم العجب في (الفايلات السرية) من الشكاوى الكيدية المختلفة التي تقدم لكل مفتش جديد، وتسير حتى معالي الحاكم، ثم تعود للمركز، ثم، ثم.. ثم صارت تقف عند سعادة مدير المديرية وفي النهاية أضحت لا تتعدى مكتب المفتش الأول". يستمر الأستاذ إبراهيم منعم منصور في مذكراته موضحاً: بالفعل وجد حامد منعم منصور الذي كان في خدمة المركز العجب، مما لا يُحكى حفاظاً على علاقات الأبناء والأحفاد، التي يرى فيها الأستاذ إبراهيم منعم منصور الحكمة في عدم التعرض لذلك (العجب.. وتقول المذكرات أن مسألة "الحسد" ليست وقفا على قبيلة حمر، ولكن كما ذكر العلامة عبد الله الطيب، هي صفة اتسمت بها كثير من القبائل العربية الأصل.. وزاد على ذلك أنّ بجزيرة العرب عشر قبائل اشتهرت بالحسد، هاجرت منها تسع إلى السودان، ونحن جميعاً أبناؤها.

ذلك ما جاء في مذكرات الأستاذ إبراهيم منعم منصور، الأمر الذي يجعلنا وبحق نسأل: إلى أي مدى كانت رؤية الخواجة (بيتر هوق) فينا صادقة؟! والواقع يثبت حدسه ونحن نعيش واقعنا الراهن المزري، فقد أضعنا إرث الإنجليز في الحكم، والتعليم، والإدارة، والقضاء والخدمات الصحية المجانية.

خامساً: النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

1-ورد الحسد في القرآن والسنة، وقد حذر القرآن والسنة من الحسد، والآيات القرآنية والسنن النبوية الشريفة أوضحت أن الحسد يؤدى إلى سوء العلاقة بين الناس مما يقود إلى الصراع والحقد وعدم التعاون فيما بينهم ومن ثم يؤدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية.

2- دعا كل من القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى التعاون بين الناس باعتباره الأساس الذي يقوم علية الاستقرار والأمن ومن ثم تبادل المنافع وتنمية المجتمع وازدهاره ورفاهيته.

3- يفسر الحسد بأن النفس الإنسانية جبلت على حب الرفعة على الآخرين، فإذا علا عليها أحد كرهت ذلك، وحقيقة الحسد هو بغض نعمة الله على العبد.، وأن منشأ الحسد هو حب الدنيا.

4- الحسد من الذنوب العظام لأن الله تعالى نهى عنه وحرمه، كما أجمعت الأمة على حرمة الحسد.

5- الحسد يؤدى إلى البغضاء والجور ومن ثم التصادم والنزاع والحروب مما يؤدى إلى تدهور الإنتاج والتخلف والفقر والشتات بدلا من الازدهار والرفاهية والاستقرار والأمن.

6- تعامل مؤسسات التمويل بالربا يؤدى إلى الظلم وسيطرة الأغنياء، مما يوجد الضغينة بين الفقراء والأغنياء، فيكثر الحسد بينهم ويحدث النزاع والخراب.

7- لتوضيح أثر الحسد على الاقتصاد يمكن ذكر حضارتين الأولى تدهورت واندثرت بسبب التحاسد وهي حضارة (سبأ) والثانية قامت وازدهرت على التآلف والإخاء ونبذ الحسد والتحاسد، وهي حضارة (المدينة المنورة) التي قادها الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده.

8- أقوال اقتصادية عن الحسد:

(أ)-" ما قاله آدم سميث عن الحسد التجاري. ترى بريطانيا وتجارها يشعرون بقلق وهم يرون أن نجاحهم في مجال التصدير تتعرض للإخفاق لأن منافسيهم الأمريكيين يذودون عن أنفسهم بالضغط على المشرع ليحصلوا على رفع تعريفة الرسوم الجمركية".

(ب)- يرى ديفد هيوم أن حسد التجار وهو "أن شعب معين ينظر إلى ثروة شعب آخر بنوع من الحسد "، والحسد مجال خصب للحقد والصراع والكراهية والنزاع. أما إذا تحول هذا الحسد إلى منافسة شريفة بين الأمم سيتحول ذلك إلى وفرة وتطور وتحضر".

9- نماذج وأمثلة لأثر الحسد على الاقتصاد السوداني:

أ- لم يستند قرار حرق أول عملة وطنية على أسباب موضوعية متجردة وإنّما أملته ظروف وملابسات سياسية وحزبية طابعها الحسد.

ب- مؤامرات عديدة ظهر فيها الحسد منها: بيع القطن السوداني. عدم توزيع العبء الضريبي بعدالة بين رجال الأعمال والعمال الفقراء والسلفيات التي منحت للأثرياء بدلاً عن الفقراء وصغار المنتجين.

ج- بتتبع تاريخ السودان السياسي منذ قيام دولة الفونج يلاحظ ارتباط الحكم بمصالح التجار ورجال الأعمال وأصحاب المنفعة.

د- رأي المفتش الإنجليزي بيتر هوق بأن الحسد منتشر بين السودانيين مما يصعب معه حكمهم لدولتهم أكده الأستاذ إبراهيم منعم منصور في مذكراته موضحا:" بالفعل وجد حامد منعم منصور الذي كان في خدمة المركز العجب عن الحسد بين السودانيين ".

هـ- القيادات السودانية من المثقفين أكفاء ولهم القدرة على قيادة الأمة بوعيهم وخبراتهم وثقافتهم العالية، ومثل هؤلاء الكفاءات الإدارية إذا فشلت في إدارة الاقتصاد هذا يعنى أن هناك أمر آخر هو سبب الفشل ألا هو الحسد.

و- ليس الحسد وحده هو سبب فشل الاقتصاد السوداني ولكن الحسد أساس معظم العوامل التى حدثت مثل سوء الإدارة وعدم القدرة على اتخاذ القرار السليم وعدم تنفيذ القوانين وتجاوزها وأسباب نشأت الصراع.. الخ.

2- التوصيات:

(أ)- التوعية الدينية للجماهير بوضع برامج دينية ثقافية تطبيقية تعتمد على قواعد التنمية البشرية، واستنباط وسائل علاج الحسد من القرآن والسنة.

(ب)- تدريب القيادات الدينية ورؤساء القبائل والعشائر والشيوخ والنظار على التنمية البشرية.

(ج)- استنباط مشروع من التآخي والتواد والحب لتبصير الشعب بأضرار الحسد وعدم التعاون وعدم الصدق الإخاء.

(د)- بناء الأخوة الصادقة بين قطاعات العمل المختلفة (الحرفيون، الموظفون المهنيون العمال ...الخ) من خلال وضع برامج عملية مثل بناء المشاريع التي تعتمد على أساس العمل الجماعي (مثلاً بناء مجمعات استهلاكية غير متنافسة) أو المشاريع المتنافسة تنافس شريف..

(هـ)- عقد ورش وندوات وعمل بحوث علمية للحد من تفاقم ظاهرة الحسد.